سلسلة : نحو استقلال المقدسات (٤)

# قهر المرأة في مملكة آل سعود

(دراسة وثائقية)

بقلم / عبد الرحمن الشمري

المقدمة :

لا يمكن بحال من الأحوال فصل عملية قهر المرأة في الجزيرة العربية (التي تسمى خطأ بالسعودية) عن عملية الانتهاك الواسع لحقوق الإنسان في هذه المملكة ، فالمرآة بالأساس (إنسان)يتم انتهاك حقوقه ، وهي مثلها مثل كافة فئات المجتمع تعلاضت للإهانة عبر تاريخ هذه الأسرة ، منذ بدأ مؤسسها عبد العزيز آل سعود غزواته وحروبه وفتنه الداخلية عام ١٩٠٢وحتى يومنا هذا (٢٠٠٧) ، في هذا السياق يهمنا أن نقدم في هذا الكتيب تجربة حقيقية لواحدة من المناضلات من أبناء الجزيرة العربية هي السيدة / عالية مكي ، وهي من المنطقة الشرقية واعتقلت عدة شهور في الثمانينيات أثناء ما عُرف بانتفاضة المنطقة الشرقية ، واعتقلت بتهمة مساعدة زوجها المعتقل وبأنها تقوم بأنشطة إسلامية مناوئة سوف نقدم فصولاً من شهادتها ،ولكن سنسبق ذلك بتقديم مدخل عام عن برنامج عمليات الاعتقال والتعذيب الذي يتعرض له المعتقل السياسي في مملكة آل سعود ،كيف تداس كرامته وتهان إنسانيته ، لا فرق هنا بين رجل ومرأة،ولا فائدة هنا من الدعاية الفارغة التي يقدمها الإعلام السعودي عن حقوق جديدة للمرأة ،وهي المرأة التي نعلم جيداً كيف أنها تهان وتداس كرامتها ولا تستطيع حتى أن تقود سيارة خاصة ، لأن فقهاء الجهل والتطرف شركاء آل سعود في حكم المملكة ، يكفرون من تفعل ذلك فماذا عن محوري هذه الدراسة؟

تقول الوثائق المتوفرة (وما أقلها ! !) إن حجم المعاناة التي يعيش في ظلها أصحاب الرأي بالجزيرة العربية شديدة وقاسية ، و لنتابع نماذج مما تقوله هذه الوثائق ففي تقرير معنون " بمذبحة الحرية" ( أصدرته منظمة الثورة الإسلامية في الجزيرة العربية حول سياسة وأساليب القمع التي تنتهجها الحكومة السعودية عام ١٩٨٦ ).

يذكر التقرير أن السجين السياسي في الجزيرة العربية لا يتمتع بأي حق من الحقوق والضمانات القضائية المتعارف عليها دولياً كما يمنع من توكيل محام للدفاع عنه ولمتابعة قضية ، ونظراً لهذه الحالة فإن الأوضاع المتردية للسجناء وخاصة الحالة الصحية السيئة لبعضهم وبقاء آخرين لفترة طويلة دون إصدار أحكام هي أمور بالغة التأثير على حالتهم النفسية .

هذا بالإضافة إلى أن الحكومة السعودية كما قلنا رفضت مرات متكررة الطلبات التي قدمها محامون دوليون أو هيئات أجنبية مهتمة بحقوق الإنسان للتأكيد من أوضاع السجناء السياسيين وبحث إمكانية الدفاع عنهم مما جعل من تقديم المطالب إلى الحكومة من الداخل أو الخارج من قبل المواطنين وغيرهم سبباً لإهانتهم وغضب الحكومة عليهم إضافة إلى ذلك فإن البحث عن أي قضية سياسية عند القضاء السعودي يعتمد على علاقة هذه القضية وتأثيرها على ما تسميه الحكومة "بأمن الدولة" ونظراً لأن هذه الدولة غير قائمة على أساس دستوري يحدد الخط الفاصل بين حقوقها وحقوق الجمهور فإن مصطلح "أمن الدولة " ينكمش لينحصر في أمن الطبقة الحاكمة والتي هي عائلة آل سعود فقط ! !

ومن الإجراءات التي تتخذ بحق السجين خلال فترة اعتقاله :

أ- التوقيف :

فعند اعتقال أي مواطن من قبل جهاز المباحث أو الاستخبارات فإنه يصنف كوقوف ويوضع رهن التحقيق وهذه المرحلة يكون على الأغلب مسجوناً في زنزانة انفرادية لمدة غير محددة وتطول هذه المدة لتصل أحياناً إلى ٩ شهور مما أدى إلى إصابة العديد

من السجناء بأمراض نفسية وعصبية وجسدية ، ولدى ( هيئة الدفاع عن حقوق السجناء السياسيين وهي هيئة سعودية مستقلة تعمل خارج البلاد منذ الثمانينيات ) معلومات حول خمس حالات تتضمن إصابة سجناء بانهيار عصبي وضعف في الإبصار وحالة أخرى تتضمن إصابة سجين بالهوس وعجز عن التركيز الذهني كما أصيب سجين آخر بمشاكل في الجهاز الهضمي أودت به إلى مرض مزمن وخطير .

ومن أبرز الأمثلة على ذلك في الثمانينيات فقدان كل من السيد /عبد الكريم العسيف ، من مدينة القطيف ، والسيد/ نور السيد حميد الهاشم ، من الأوجام ، لقدرتهما الذهنية على التركيز والتذكر وإصابتهما بانهيار عصبي كامل والذي نقل على أثره السيد / نور لمستشفى الأمراض العقلية في الطائف بعد فقدان عقله نتيجة انعكاسات مرحلة التوقيف عليه وما رافقها من وحشية في التعذيب والضرب والعزلة ( نرجو مقارنة هذا التعذيب منذ ١٩٠٢ أي منذ دخول آل سعود للرياض ، ولعل نموذج جيهان العتيبى ورجاله ، وناصر السعيد وعملية اختطافه من بيروت مقابل ٥ ملايين دولار أعطيت لقيادات من منظمة فتح ! ! ثم إعدامه .. ما يقدم نفسه كأدلة دامغة ).

ب- السجن الانفرادي

ويرافق مرحلة التوقيف السجن الانفرادي والذي يستعمل كعقاب للسجين الذي يعتقد المحقق بأنه غير صادق في الإدلاء بمعلومات أو أن المعلومات التي أدلي بها غير كافية . وقد يتكرر السجن الانفرادي أكثر من مرة حتى بعد انتهاء التحقيق ونقل الموقف إلى العنابر الجماعية إذا ما رأي المحقق حاجة إلى إعادة التحقيق مع السجين .

ج- التعذيب :

وخلال التوقيف والسجن الانفرادي تجرى عادة عمليات التحقيق مع السجين الذي منع من الدفاع عن نفسه ويتعرض خلالها للإهانات النفسية والجسدية من سباب وشتائم والتعريض بأهله ومعتقداته وأفكاره إضافة غلى تهديده بالقتل وانتهاك شرف عائلته ، كما إن محاولة الاعتداء الجنسي على السناء قد حصلت أكثر من مرة ، ويمارس التعذيب

الوحشي ضد المعتقلين وبلا رحمة كوجبات الضرب الطويلة والمتكررة في مختلف الأوقات وبشتى الأدوات كالقضبان الحديدية وفي مختلف أعضاء الجسد كالظهر والأقدام والأيدي ، ومن وسائل التعذيب المعهودة لدى النظام هي منع السجين من النوم لأيام قد تصل إلى اسبوعين أحياناً مع عدم الشرب وإطفاء السجائر والبصاق في وجه السجين ، إضافة إلى تعليق السجين من رجليه في مروحة كهربائية تدور به وهو معلق بالمقلوب .

وهناك حالات كثيرة تدل على بشاعة التعذيب الذي يتعرض له أبناء الجزيرة العربية في سجون النظام السعودي أبرزها استشهاد السجين ( سعود الحماد) من مدينة "العوامية" بين جلاديه عام(١٩٨١) إذ سقط إثر التعذيب الوحشي والضرب مغشياً عليه وشلت حركته ثم مات ، واستعملت السلطة كل وسيلة ضغط ممكنة ضد أهله وذويه للتعتيم على استشهاده ، ومنها استشهاد السيد / أحمد مهدي خميس في سجن الدمام في أغسطس من العام ١٩٨٦ م.

د- المحاكمة :

من المفترض أن تكون هناك محاكمة لهؤلاء المتهمين كي تثبت إدانتهم أو براءتهم طبقاً لأحكام الشريعة الإسلامية أو القواعد القانونية المعمول بها في أرجاء العالم المختلفة ، لكن أي شيء من هذا غير موجود ، وكل ما يحدث هو إحضار السجين أمام موضف في إدارة المباحث يصطلح عليه ( ربما من باب النكتة ) باسم " القاضي ط وبناء على التقرير المقدم من المحقق الذي يمارس هنا دور الادعاء العام ، توجه تهمة للسجين ثم يطلب منه قسراً التوقيع على إدانة نفسه واعترافاته المزعومة ثم يصدر "القاضي" حكمه في غياب السجين دون أي نقاش أو دفاع أو مرافعة قانونية أو شهود .

هـ - منع الزيارة :

بعد هذه المرحلة يزج السجين في السجن وعادة ما ينقل خلالها للزنزانات الجماعية ويترك لمدة غير معلومة قد تأخذ سنوات ويظل هو وأهله يعيشون هاجس المستقبل المجهول وقد يسمح أو لا يسمح لعائلته بزيارة محدودة ، كما حدث لسجناء عام ١٩٨٥ الذين لم يسمح لأهلهم بزيارتهم لفترة زادت على خمس سنوات ، ويعيش السجناء في

الجزيرة العربية ظروفاً صحية ونفسية قاسية من جراء منع الزيارات عنهم وإن سمح بها فإنها تنحصر في عدد قليل جداً من أهل المعتقل ولدقائق محدودة ومن خلف حواجز شبكية وفي حضور رجال الأمن ، كما أن انعدام العناية الصحية بالمعتقلين في المأوي والخدمات العامة كالاستحمام والتدفئة والطعام الصحي يساعد على انتشار الأمراض والأوبئة المعدية بينهم ، كما تنعدم البرامج الترفيهية والتربوية والتي تتوفر في سجون العالم الأخرى حيث يمنع السجناء من اقتناء الصحف والمجلات اليومية التي يصدرها النظام كما يمنعون من ممارسة أية هواية تقتل الفراغ حتى ممارسة العبادات الدينية كالصلاة الجماعية والدعاء .

وهذا الفراغ القاتل مصاحباً بالظروف الصعبة في السجن يعرض الكثير من السجناء لحالات مزمنة من التوتر العصبي أو العزلة والخوف من الناس والتي تظل تعايش السجين في مستقبل حياته حتى بعد الإفراج .

وتستغل السلطة فترة السجن والاعتقالات في إحكام قبضتها على المجتمع وإذلاله باستخدام سياسة العصا والجزرة مع الأهالي ، فمن جهة ترفض الاستجابة لمطالب الإفراج عن السجناء في المناسبات الدينية والاجتماعية وسرعان ما تغير توجهها بتصعيد حملة الاعتقالات بقصد التلاعب بأعصاب الجماهير وإذلالها وقد حدث ذلك أكثر من خمس مرات خلال فترة التسعينات وحتى عام ٢٠٠٦ هذه وبذلك تقيس السلطة نبض الجماهير ومدى تلاحمها مع معتقليها ونسبة التأييد الشعبي الذي يتمتع به السجناء .

و- ما بعد السجن :

لا تتوقف آثار الاعتقال السياسية على السجين في السعودية مع الإفراج عنه يستمر يحمل ختم العذاب والتشرد على جبهته طيلة حياته في ضوء نظام لا يعرف أدني مشاعر الإنسانية والكرامة والحرية .

فما أن يطلق السجين تصادر أوراقه الرسمية كالهوية وبطاقة إثبات الشخصية والجواز ويمنع من حق السفر والتجوال ، كما يفصل من عمله أو مدرسته أو جامعته التي كان

ينتسب إليها ويمنع من العمل في أي دائرة حكومية أو شكرة عامة أو خاصة كما حدث بالنسبة للعشرات من عمال "أرامكو" وبذلك يضيع مستقبله وفرص العيش الكريم أمامه عياله ويعيش هو وعائلته ظروف الألم والمعاناة والتشرد .

هذا من الناحية الإنسانية أما من الناحية السياسية فيظل هاجس الخوف يسيطر على حياة – السجين الذي أطلق سراحه إذ تستمر سيارات المباحث وعيون النظام في مراقبته وترصد تحركاته في البيت مع أهله أو في الشارع مع الناس .

المحور الثاني :شهادة حية عن انتهاك حقوق المرأة في السعودية( نصة عالية مكي نموذجاً):

نقل فيما يلي يوميات (المجاهدة عالية مكي)التي كتبتها لتروي من خلالها تجربتها في سجون آل سعود وكيف تقهر المرأة على أيديهم ،وهي اليوميات التي صدرت في كتاب يحمل عنوان (يوميات امرأة في السجون السعودية) فماذا تقول تلك اليوميات الدامية في أبرز فصولها :

الإعتقال..!!

في الهزيع الاخير من الليل.. اذا بالباب تطرق بعنف، طرقات متوالية كالرعد القاصف، كذبت سمعي في البداية أيكون هذا حلماً ام كابوساً من الكوابيس المزعجة، أصغت السمع مرة أخرى واذا به يصيب في هذه المرة بعكس المرة السابقة، استيقظ الجميع في حالة مفزعة يا ترى ماذا حدث؟ ولماذا كل هذا الضجيج؟ وعلامة التعجب والاستغراب قد كست الوجوه من سيأتي في هذا الوقت، مستحيل ان يكون زائراً، إخوتي يتواجد معظمهم قبل العاشرة في المنزل ولم يكن أحد في الخارج، وسريعاً توجه بي فكري الى زوار الليل وهم يجرون أحد أبناء البلد الصالحين من الخيرة الطيبة.. رأيت صورته وهو مكبلاً بالقيود يسحب بكل قوة وعنف بأيديهم الآثمة، يا ترى هل سيعود؟ ومتى

يعود؟ وكيف سيعود والقضبان تحاصره من كل جانب، وكيف سيتمكن من الإفلات من قبضتهم،... اشتد طرق الباب أكثر فاكثر، كانت اصوات طرقات الباب عالية جداً، كان والدي يسير بخطوات متثاقلة تجاه الباب وقبل ان يبادر هو لفتح الباب، دفع الباب بقوة واصطدم بجسده، أقبل رجل ضخم الجثة طويل القامة وأخذ يصرخ بغضب شديد اين هي؟ فوجئ والدي بما يريد فأتى اليهم محاولاً الاستفسار منهم لماذا كل ذلك؟ وقبل ان يعطي أي فرصة للكلام ذرعوا المنزل بغير استئذان، أثارت الدهشة والدي ماذا يريد هؤلاء؟ ولماذا يستخدمون هذا الاسلوب؟ ولماذا يعتقلون فتاة لم تبلغ العشرين بعد؟... اما هم فقد كانوا أربعة رجال مقنعين أنفسهم بلثام، ذوي قامات طويلة، ارتادوا المنزل، أخذ كل واحد منهم يبحث في مكان، كأنهم يبحثون عن ضالة ثمينة خاصة بهم فقدوها، ولربما كانت ضائعة فهاهم يبحثون عنها، واذا بشخصين آخرين قد استلما مكانيهما امام الباب بعد ان أشارا لمن في الداخل بعدم الخروج، كانت اعمارهم تقارب الثلاثين، أذهلني منظرهمان كانا شديدي السواد يحملان وجوهاً مخيفة، يرتديات الزي العسكري وكل واحد بيده سلاح من نوع كبير، حيث تطوّق صدريهما أشرطة من الرصاص، بينما هما كذلك واذا برجل قد أوسعا له الطريق، يبدوا أنه رئيسهم، حتى أنهما كادا يركعان له بالتحية، فقد كان شخصية مخيفة، معتدل القامة لا يتجاوز ١٧٠ سم يتميز بالصلافة والجفاف والنبرة الحادة، لكنه لا يرتدي لثام كما الآخرين، كان محافظاً على مظهره واناقته، يرتدي ثوباً أبيض، مع كوفية حمراء، إنني مسؤول المباحث في منطقة القطيف، هكذا عرّف نفسه وبكل وقاحة معلناً أسمه (عايض القحطاني). بعدها

أمسك بوالدي من ثوبه وهزه هزاً عنيفاً، وقد أطبق على رقته وهو يزمجر قائلاً اين هي تلك اللعينة؟ اخرجها ولا تحاول اخفائها والا قتلتك!!! دفع والدي مرة أخرى وأقعده على الأرض اراد مقاومتهم، حاول ان يتفوه بكلمة تجاههم، لكنه وجه السلاح إلى رأسه مشيراً اليه بالصمت، إتجه إلى نواحي المنزل وهو يعربد بصوته المزعج اين انت؟؟ لا تحاولي الهرب؟ فإنك لن تستطيعي يا رافضة.. وارتفع صراخهم هذا يسب وهذا يشتم والآخر يلعن تحول المنزل الى ساحة لعب بينهم وإطلاق أقذر الكلمات والشتائم، على إثر هذه الاصوات المقززة والتي تشبه أصوات الثيران، استيقظت والدتي فزعة حينما فتح عليها الباب من قبل أحد الملثمين، وهو يعوي بصوته اين هي؟ لا تحاولي اخفائها، والدتي أصابها الخوف ماذا يقصد من وراء كلامه أهي ضالة فقدوها ام ماذا؟ سألته ما قصدك وعن ماذا تبحث؟ قال إبنتك فازدادت نبضات قلبها وعجز لسانها عن الكلام وتماطلت بالوقوف صامتة... يا ترى هل تصارع شيئاً بداخلها ام ماذا؟.. كانت والدتي خائفة ولكن أي خوف؟ خوف طبيعي كما تخاف أي ام على إبنتها يا ترى ماذا يريدون منها؟ وماذا عملت لهم؟... انا اعرفها جيداً لا يمكن ان تكون قد ارتكبت خطأ، فأخذت هواجس القلق، تحيط بها من كل جانب، كيف سيأخذونها وهي إبنتي الكبرى وساعدي الايمن في المنزل؟.. وهل ستعود؟ ماذا سيقولون لها وما الذي ارتكبته في حقهم؟؟؟ بعد ان استعادت قوتها قالت له امكث أنت هنا وأنا سآتي بها اليكم ولكنه رفض ذلك بشدة وأخذ ينهال عليها بالسب والزجر حيث خرج واغلق الباب بقوة في وجهها.

.. ذهبوا إلى غرفتي قلّبوا ما فيها رأساً على عقب لقيامهم بعملية البحث داخلها (التفتيش) لعلهم يحصلون على شيء ولم اكن موجودة بها، لقد كنت متواجدة في غرفة اخوتي الصغار الذي اصابهم الذعر من قبل هؤلاء، حيث كنت ارقب الامور على مقربة من الشرفة... تعالت أصواتهم حينما وجدوا الغرفة فارغة، فازدادت حماقتهم وأدت بهم الى تحطيم ما هو موجود، بعثرة الادراج الموجودة وسط الخزانة التابعة للغرفة، اضافة الى بعض المجلات واصبح منظر الغرفة لا يطاق.. ما هي الا لحظات حتى هجموا على غرفة اخوتي، علمت انني المقصودة لديهم فانقضّوا عليّ كما ينقض الذئب على فريسته، كانت من بينهم أمرأة، إنهالوا على جسدي بالضرب والركل وساقوني معهم الى سيارة خارج المنزل لونها ابيض من نوع داتسون (نيسان)**nissan** موديل (٨٢) ودعتني نظرات الأهل وبالخصوص والدتي وقد انهملت دموعها على خديها..

هل ارتكبت جريمة ؟

خرجنا سوية من المنزل.. الطرق مسدودة، سيارات الجيب تحاصر الشارع، واجهة منزلنا مطوقة بالجنود، العساكر المدججة بالسلاح سيارات المباحث متراصة بجانب بعضها البعض السيارات الخاصة كانت من بينهم سيارة (كابريس) بيجية اللون لرئيس المباحث (عايض القحطاني) وسيارتان أخريتان من نوع داستون نيسان ـ إستقلها العناصر الذين كانوا مقنعين بعد ان كشفوا اللثام عن وجوههم، اما نحن فكنا تحت الحظر متوجهين نحو السيارة، كانت تخالج نفسي وقتها مجموعة من التساؤلات.. هل إرتكبت جريمة ما..؟ وما عسى أن تكون؟ أو لهذا الحد جريمتي كبيرة وعظيمة؟ وبالتالي لماذا كل هذه

الإستعدادات أخذت التساؤلات تعصف بي من كل جانب بدون ان أعثر لها على جواب. إقتادوني مكبلة اليدين بواسطة (الكلبشة" أحد اطرافها بيدي اليمنى والطرف الآخر بيد تلك المرأة التي معهم، هي إلى الإمام حيث تجرني خلفها كانت مقنعة بعباءة سوداء تخفي وجهها كي لا يتمكن كشفها من في المنزل، أدخلوني الجزء الخلفي من السيارة مع تلك المرأة، إضافة إلى والدي فقد اقتادوه معي هو الآخر لإنهاء بعض الاجراءات، كان معنا داخل السيارة احد الاشخاص، يرتدي ثوباً أبيض مع الكوفية والعقال يتميز بنحافة الجسم وتوسط القامة، يرتدي نظارة طبية بيضاء مع مسدس يحمله بجانبه الايسر وهو بدوره يقود السيارة، تمكنت من معرفة اسمه بعد مسافة معينة وتحديداً عند تقاطع متفرع لعدة مناطق كالقطيف والدمام وغيرها، توقفت السيارة بعد ان أشار أحد الجنود بذلك فهو جندي من رجال المرور مهمته القيام بعملية البحث (التفتيش) وسط السيارات المارة، فحينما رأى صاحب السيارة التي تقتادنا أدى التحيّة المعروفة (ضرب سلام) بعد ان ضرب رجله بالارض ورفع يده مشيراً بالتحية، عرف السائق نفسه الملازم (عبد الواحد) مباحث القطيف.. إضافة الى شخص آخر كان يلزم المقعد الاماي بجانب السائق يتميز بقامته المعتدلة وكان يرتدي ثوباً ابيض وكوفية حمراء، وكان ممتليء الجسم يشبه جسم الفيل اسمه (حزام) وهو من الافراد المنبوذين داخل المجتمع من قبل الاهالي لمعرفتهم عنه بأنه من رجال المخابرات، تحركت السيارة أخذت أحملق ببصري يمنة ويسرة واذا بتلك السيارات قد تفرقت وقد إبتعد الجنود عن المنزل... آلمني منظر والدتي وهي تقف على باب المنزل تودعني بنظراتها الحانية المليئة بالحب

والعطف والحنان، والدموع تنهال على خديها كالسيل الهادر، ما زالت السيارة تواصل سيرها وقبل انهاء الشارع الذي يفصل بين منزلنا وبين الشارع العام كانت النظرة الأخيرة بيننا، ولعلها لحظة الفراق، قرأت في عينيها الكثير الكثير وهي تتلو لي كلماتها النهائية لا تخافي يا ابنتي فقلبي معك والله معك يحفظك ويرعاك..

في الطريق المؤدي الى السجن:

في الشارع العام بعد مفارقتنا للمنزل وآثار مدينتنا تبتعد شيئاً فشيئاً، زحفت بنا السيارة بسرعة غريبة جداً، تكاد في سرعتها تتجاوز سرعة الصوت، كان الشارع خالياً من المارة وحتى السيارات لم نصادف وقتها سوى مجموعة من القطط كانت تحتفل بوجودها وسط الشارع حيث لا تجد من يطاردها و يؤذيها.. كانت السيارة التي كنت بداخلها تتوسط أربع سيارات، اثنتان من الامام واثنتان من الخلف، كنت على ثقة كبيرة من نفسي ومن جميع تصرفاتي، لم أخطيء في شيء ولم ارتكب اية جريمة، والدي كان يجلس بجانبي يلمحني بنظراته التي تعبر عما في داخله، قرأت في عينه خوف الأب على إبنته.. الأب الذي يكن فائق الاحترام لفلذة كبده.. يا ترى ماذا سيعملون معها وهل سيؤذونها.. السجن للرجال فماذا حدث في هذه المرة.. إمرأة تساق إلى السجن.. كيف سأواجه الناس وماذا ستكون اقوالهم وكيف أتمكن من الرد عليها.. وما الذي سأقوله لهم، كانت هذه تساؤلات قرأتها في نظرات والدي.. كنت اتغاضى عنها في بداية الأمر وكأني لا أرى شيئاً، ولكن بعدها ازدادت نظراته التي كانت توحي لي بالفراق وانني لن اراه بعد هذه اللحظات واذا به يريد أن يتفوه

بشيء ولكن سرعان ما يحبس نغمات صوته ويمنعها من الخروج، سبقته بالحديث قبل ان يبادر هو به.. عرفت ما يدور بداخلك ولكنني ارجوك ان لا تخاف عليّ فأنا ابنتك التي تعبت وسهرت على تربيتها.. أنا الآن قد كبرت وأعي الحياة جيداً، أنا لم ارتكب أي خطأ أبداً فهل انت واثق بي ومصدق ما أقول.. أجاب بكل رحابة صدر ـ نعم يا ابنتي انا اثق بتربيتي لك ولكن... قاطعته بالحديث وقبل ان يتم كلامه، أجل يا والدي هل تتذكر ما أوصيتني به آخر مرة، كوني شجاعة واصبري على ما اصابك تصرفي بكل ثقة وحكمة، ازرعي في نفسك الصبر وتذكري الآية الكريمة التي تقول يا بني أقم الصلاة وأمر بالمعروف وانه عن المنكر واصبر على ما اصابك ان ذلك من عزم الامور ولا تنسي قول الله تعالى في الحديث القدسي (يا عبادي تحلوا بأخلاقي اني انا الصبور) فلا تخشي احداً الا الله وهو الجدير فقط بأن نخافه ونخشاه.. هذه الكلمات التي كنت ترددها لي دائماً في كل صباح ومساء ونحن على مائدة الافطار وبالذات بعد اعتقال زوجي، هنا بدت عليه علامات الاطمئنان اكثر وكان يتمنى لو أن طاقات العالم ومواهبه كلها تجتمع بي كي يفتخر بإبنته في كل مكان، كنت اتصور مدى سعادته حينما انتهي من انجاز أي عمل من الاعمال بتفوق ونجاح فكم كان يدعولي بالتوفيق، وكم سعى لراحتي وكم شقي من اجل ان يوفر ما اريد فكان يضحيّ بالكثير في سبيل اسعادي، وتضيق به الدنيا لحزني وألمي، فأي حب هذا أحظى به يا والدي منكم فمهما كتبت ومهما خطت أناملي لن استطيع ان أف ولو بالقليل من فضلك عليّ واحسانك اليّ يا اعز انسان واكرم من في الوجود..

أخذ يربت بيديه الكريمتين فوق كتفي ويمسح بها تارة فوق رأسي كأنه يدفعني ويذودني بعطفه الابوي الملئ بأسمى معاني الحب والرأفة والحنان.

... واصلنا المسير... الساعة تشير إلى الواحدة والنصف فجأة واذا بتلك السيارات قد اختفت، الاضواء، جدران المدينة كل ذلك اختفى ولا يوجد له أي اثر على الاطلاق، هممت أدير برأسي الى اليمين مرة باتجاه اليسار مرة أخرى إلى الإمام إلى الخلف لا أجد شيئاً سوى ذلك الظلام الدامس المحيط بنا من كل جانب، كسحابة سوداء غطت تلك السيارة حيث حجبت الرؤية عن الجميع ما عدا سائق السيارة.. لربما يكون ذلك كميناً معداً من قبله.. هكذا ساروا بنا وسط ظلام الليل الحالك، بدا لي أن الطريق لن ينتهي من طول مسافته فكان ذلك معداً حتى لا اتمكن من معرفة الطريق وحتى لا يتمكن أي شخص من رؤيتنا.. كان الصمت يلف الجميع، تذكرت وقتها بعض الآيات القرآنية ولنبلونّكم بشئ من الخوف والجوع ونقص من الأموال والانفس والثمرات وبشر الصابرين، الذين اذا اصابتهم مصيبة قالوا إنا لله وإنا اليه راجعون اولئك عليهم صلوات من ربهم ورحمة واولئك هم المهتدون (البقرة ١٥٤). صدق الله العظيم

ثم طافت بذهني مقاطع من بعض الاناشيد المختزنة في ذاكرتي..

تقدم وهاجر، تقدم وناضل، تقدم وحرر

فإن النجاة مع المقدمين

اخي لاح في الافق صبح الامل

اخي في الجهاد أخي في العمل

تعالوا تعالوا لقبر الشهيد
نعاهده بالوفاء من جديد
نعاهد ان نرفض الظالمين
ونشجب بالدم قهر الحديد
نحرر أوطاننا
ليحكم قرآننا

إضافة الى بعض أبيات الشعر التي تغذي الروح وتشحذ النفس بالشجاعة والثبات والعزيمة، بعد لحظات توقفت السيارة وأمرنا الملازم بالنزول.. نزل الجميع فك القيد من يدي وأصبحت أسيرة وسط إثنين من الجنود المسلحين ووالدي من الخلف.. تم إدخالنا في غرفة صغيرة حيث أمرنا بالانتظار، كانت هناك امرأة أخرى غير التي برفقتنا.. باشرتها بالسلام فردت التحية، كانت طويلة القامة شديدة السواد لا يرى منها إلا بياض عينيها المتخفية خلف ذلك البرقع الصغير.. رحبت بي بتحية طويلة عريضة حاملة معها كل استهزاء وسخرية وكأنها تعرفني منذ زمن طويل، حاولت أن استقصي الأمر منها لم تخبرني بشيء غير انها ستستضيفني بالنوم عندها لفترة معينة سألتها واين سيتم ذلك، قالت: بمنزلنا في الدمام.. زجرتني بعدها بقولها كفي عن الكلام وإياك أن تسألي مرة أخرى.. إتضح لي بأنني سأقيم في سجن الدمام أصابتني الحيرة وقتها.. يا ترى ماذا يريدون مني وما عسى ان تكون اسألتهم الموجهة لي وبأي طريقة اجيبهم واذا كنا سنغادر المكان إلى الدمام اذن اين نحن الآن وفي أي مكان... طال انتظارنا لما يقارب الساعتين على أثرها تم استدعاء والدي

لعمل بعض الاجراءات وأنا انتظر عودته واذا بهم يستدعونني للداخل بعد مرور نصف ساعة تقريباً.. دخلت غرفة مجاورة لغرفة الانتظار، كانت تحوي مكتباً صغير خلفه كرسي دوار قد وضعت لائحة في الوسط كتب عليها (مديرية القطيف) ـ قسم المباحث. ). (عايض القحطاني) سلمني ورقة بيضاء وامرني بالتوقيع عليها.. طلبت قراءتها لكنه رفض، قائلاً: يجب ان تعملي ما نقوله لك فامسكي القلم وأمضي على الورقة ـ كررت رفضي لذلك قبل الاطلاع عليها وبعد الإصرار أمرني بقراءتها قراءة سريعة لأنه أخذ يتظاهر بأنه مشغول وليس لديه وقت يضيعه معنا.. قرأت الورقة بنظرات سريعة فكانت عبارة عن وثيقة توضح طريقة اعتقالي من المنزل وأنها كانت طريقة طبيعية عبر اسلوب هاديء واستئذان من قبل والدي ولم تكن هناك أي مداهمة للمنزل.. تعجبت حينما قرأت هذه الورقة لأن ما حصل هو العكس تماماً أبديت رفضي الشديد للإمضاء ولكن والدي أخذ يلح عليّ واحتراماً لمشاعره تم توقيعي على الورقة.. فور الانتهاء من هذه الاجراءات ضغط المدير.. عايض على زر موجود بجانب المكتب حضر الجندي وفي يده الكلبشة وضعها في يدي واقتادونا بواسطة احد الجنود خارج المكتب في ساحة مظلمة وقد أعدت سيارة من نوع (سوبربان) لنقلنا فقد كانت مشرعة الابواب لاستقبالنا، كان معنا وقتها رجل يرتدي لباساً مدنياً وهو الذي يقود السيارة، اضافة للملازم (حزام) وأحد الجنود كان يحمل معه سلاحاً وطاقماً من الرصاص... انطلقنا من مدينة القطيف متوجهين الى مدينة الدمام وبالاحرى الى السجن...

في سجن الدمام :

في الطريـق الى الـسجن بمركـز بالـدمام.. قـسم المباحـث.. ...انطلقـت الـسيارة بسرعة قصوى أكثر من ذي قبل.. أصبح السكوت يلـف الجميـع والاجـواء تنـسم بالهدوء داخل السيارة لم يمزق هذا الهدوء غير هبات الهواء الرطب يلطـم وهـو هنا من كل جانـب عـبر نوافـذ الـسيارة المـشرعة الـساعة الآن تـشير الى الثالثـة والنصف وما زلنا نواصل السير اذا بالملازم (حزام) بدأ يسخر ويـستهزأ بوالـدي كي يثير اعصابي.. أخذ يواصل كلامه بالسب والشتم والتهديد.. إعلم يـا فـلان.. (خل يكون في علمك جيداً لا تحسب نفسك بترجع للبيت، تراك جيت مع بنتك الغالية الى السجن واللـي يـدخل الـسجن لا يفكـر بعـد يطلـع منـه بالبـساطة يـا محترم) والدي لم يجبه بشيء ولم استطيع تحمل ذلك أجبته فوراً بهذه الجملـة حبذا لو تحترم نفسك ليحترمك الآخرون، أحس بـأن كلامـي إهانـة لـه وانـني اقصده بهذا الكلام.. إشتد غضبه وصرخ في وجهـي اخرسـي مـن تقـصدين بهـذا الكلام وماذا تقصدين؟ لم أشأ إكمال الحديث معه لأنني كنـت في شـغل عنـه مـع والدي حيث كنت أطمأنه عليّ واوصيه ان يطمئن والدتي، فكنـت اذكـره بـبعض الآيات القرآنية وبعـض الاحاديـث للرسـول الأكـرم(ص) اضـافة الى نمـاذج مـن روايات ائمة أهل البيت ذكرتـه بالإمـام موسـى الكـاظم والفـترة الـتي أمـضاها في السجن ما يقارب خمسة عشرة عاماً لحين لقب بحليـف الـسجون ولا تنـسى مـا قاله الإمـام الـصادق(ع) (مـا مـن شـيعتنا الا مظلـوم او مـسموم) فـنحن لا بـد ان نقتدي بهم ونسير على خطاهم، ثم ذكـرت الآيـة الكريمـة مـن المـؤمنين رجـال صدقوا ما عاهدوا الله عليه فمنهم من قضى نحبـه ومـنهم مـن ينتظـر ومـا بـدلوا تبديلا.

قاطعني السائق وهو يهز رأسه ساخراً ويقهقه بسخافة قائلاً أتظنين أنكم في جبهة قتال حتى ترددين هذه الكلمات، ثم اخذ يكرر الآية وهو يتلاعب بها بلسانه، لكني تركته وشأنه.. ...بعد مضي ما يقارب الساعة توقفت السيارة، لم استطع أن أرى شيء سوى تلك الصحراء القاحلة التي مررنا بها. ما عدى بوابة كبيرة أثناء وقوف السيارة، حيث كان الباب صلباً للغاية يحوي أعمدة حديدية كانت ملاصقة للبوابة وعبر الضوء المسلط من السيارة اتضح لي لونه الازرق كانت توجد بوابة متوسطة الحجم من الجانب الأيسر مباشرة، بها ثقب صغير وكان يطل منه أحد الجنود.. فوراً اعطي اشارة خاصة من قبل السائق واذا بالبوابة قد فتحت من قبل اثنين من الجنود المسلحين واذا بي في ساحة واسعة - شديدة الظلام، ولم اتمكن من تمييز الموقع جيداً، أنزلونا من السيارة وأمرنا بعدم التحرك من موقعنا لحين صدور الأوامر وكان يقف أمامنا أربعة من الجنود للحراسة!!

..كانت الافكار حينها تقصف برأس والدي لم يكن له تفكير مستقر ولا أدري هل يفكر بي بكوني فتاة في يد طغمة من الجلاوزة، ام يفكر في كلام الناس وما الذي سيدور بينهم حينما يعلمون بالأمر، ام يفكر في زوجي المعتقل الذي لم يعرف مصيره بعد، ام يفكر في نفسه اذا سجن معي، حسبما ورد في تهديد ذلك العميل داخل السيارة، هل يفكر ويتساءل من للعائلة بعد سجنه التي تتكون من ستة أولاد وأربع بنات، من الذي سيدير شؤونهم ويرعى امورهم وهم بعد لم يبلغوا الحلم، واذا سجن معي فالمدة ليست محددة فقد تطول فترة بقائه معي في السجن، فمن للبنات ومن سيلبي طلباتهم وكيف ستسير أمورهم بدون معيل،

ومن للاطفال الصغار من لمحمد ومصطفى من لزهرة وزينب اذا استيقظوا كل صباح وفقدوا من كان يزرع في نفوسهم المرح والسرور ومن الذي سيلاعبهم وينحني بظهره لهم ليلعب معهم لعبة الحصان ومن.... ومن.... ومن.... الخ....

..نعم كان والدي يسبح في عالم الافكار وكانت صفحات وجهه تفصح عما في داخله.. فكان ينظر لي بين لحظة وأخرى وكأن قلبه يحدثه بأنه لن يراني بعد.. سوف يأخذونني وسأرحل بعيداً عنه.. أخذ يرقبني بنظراته الحادة وانا احاول الهروب منها لأهدئ من روعه... في تمام الساعة الرابعة وخمسة عشرة دقيقة تم استدعاء والدي وسيق الى مكتب مدير السجن (منصور مرعي القحطاني) وبقيت وحدي اترقب الأمر تحت حراسة مشددة من قبل الجنود، كنت حينها أبحر وسط محيطات كبيرة مليئة بالسعادة وزاخرة بالسرور ولكن أية سعادة هذه، كانت تجمع معها ألم وحزن، وهو خوفي الشديد لما يجري لوالدي وما يتعرض له من أذى بسببي، أما فرحي فهو لنجاحي وتفوقي في هذه المدرسة، فكثيراً ما قرأت عيناي أسطراً واسعة حول هذا الخندق وما يجري فيه فقيل عنه انه مدرسة الصمود والتحدي وقيل عنه مختبر يكتشف فيه المرء ذاته، وقيل عنه بأنه كالإمتحان أما يكرم المرء فيه او يهان، عصفت بي الافكار من كل حدب وصوب: أي سجن هذا الذي يجمع ما هب ودب ومن كل الناس.. وفي لحظة تأمل وتركيز استوقفت افكاري عند محطة من التساؤلات لماذا لا أجرب نفسي للدخول في هذا المعترك الصغير لعلها قادرة على النجاح وكيف لا ما دام الانسان مؤمناً بالله سبحانه ومتوكلاً عليه في جميع اموره. وتصرفاته

وسلوكياته فالله مع العبد ما دام العبد معه، ولربما يكون بلاء منه عزّ وجلّ يريد ان يمتحنني فيه ويرى مدى صبري وعزيمتي على هذا البلاء، فالله سبحانه وتعالى قد امتحن نبيه يوسف عليه السلام بالسجن وهو القائل (رب السجن احب الي مما يدعونني اليه).. وقد يكون عقاباً دنيوي عجّله لي كي يخفف عني عذاب الآخرة ولماذا لم يكون كذلك.. قد يكون بوابة مشرعة لمحو الذنوب وغفران السيئات وان الله اذا أحب عبداً ابتلاه و... و... و...، واذا بصوت والدي يوقظني من عالم الافكار لأقع بين يديه الكريمتين وبلهفة شديدة كنت متلهفة لمعرفة ما لديه وهل سيمكث معي ام لا؟ وهل سنغادر المكان ام ماذا؟ وما نوعية الحديث الذي دار معه اثناء غيابه معهم.. لكنه لم يدع لي فرصة أن اتفوف ولو بحرف واحد.. ربت على كتفي قائلاً لا تخافي يا ابنتي وبكل أسى قالها سوف تذهبين معهم ولا تنسي بأن الله معك.. وانت يا والدي ما الذي جرى بشأنك.. اطمئني انا سأغادر المكان عائداً إلى المنزل اما انت فستبقين معهم.. إرتحت كثيراً لأمره ولكني في نفس الوقت تألمت لصعوبة الموقف فقد كان متشبثاً بيدي يلقي بنظراته عليّ مرة بعد أخرى كي يتشرب من وجهي ويفيض شبعاً من رؤيتي، كانت القلوب عند بعضها والنظرات متبادلة وشحنات كبيرة من الدموع تملأ عيناه، الاحمرار أخذ مأخذه على وجهه حيث كان في حالة ضغط شديدة لكبت مشاعره واحاسيسه كان يريد البكاء امامي... لكنه لم يبك ولم يفسح المجال لنزول ولو دمعة واحدة على خده لحبسه دموعه ومنعها من التساقط ولأن البكاء يهد الرجال، ولكن ما اصعب لحظة الوداع..

اراد ان يحدثني عما جرى له داخل المكتب ولكنه لم يستطع اذ زجره مدير السجن بقوله (هيا اسرع ماذا تريد ان تقول لها) انتاب الاحراج والدي وصمت فجأة، ما هي الا لحظات، وضغط بيديه فوق يدي وأخذ يربت مرات متوالية فوق كتفي بدون ان يتكلم احسست انه تعرض لإهانات كثيرة من قبلهم ولكنه سوف يتحمل كل شيء من أجلي، هناك تمنيت لو أتلاشى كنت اختنق بعبرتي. وأتعذب في داخلي لما جرى ويجري وسيجري له من اهانات، وما تعرض له من شتم وزجر ولو أن دمعة واحدة انفجرت الى الخارج لكان ذلك اهون بكثير، لجعلت روحي تتنفس وتحاول ان تلتقط الهواء حتى يمر الموقف بسهولة، لكني أحسست حينها ان اقسى ضربة توجه لرجل هي ان يرى امه او زوجته او اخته تبكي امامه فكيف اذا كانت إبنته.. ولكن لن أبك الآن أبداً ولن أبك...

بطل هو والدي فما زال يحاول خنق دموعه ويحبسها كي لا اراها ولا احس بما يدور في داخله، كانت شهقة موجعة تملأ حلقه وهو يحدثني فنبرات صوته ضعيفة.. كما كان قلبي يتألم لك يا أعز انسان في الوجود ولكن ليس باليد حيلة وددت لو أن الحياة تنتهي في هذه الآونة.. شعرت بالحزن كثيفاً داخلي مثل سكين حادة تمزق احشائي.. ولكني صممت أن ابقى قوية أن أبدو متماسكة لأقل له كلمات لذيذة يتذكرها حتى وقت بعيد.. ربما تخفف عنه.. اردت ان يرى وجهي وانا مبتسمة ضاحكة كي تكون له زاداً ينزع قلقه عليّ من نفسه، ولكني لساني لم يطاوعني، أحسه وكأنه ثقيل متصلب ولكني رغم هذا سأبتسم فالانسان يستطيع ان يبتسم، ، فالابتسامة ارادة حتى لو كانت حزينة.. إبتسمت في وجهه وانا اردد له بعض الآيات القرآنية كقوله تعالى واصبر كما

صبر أولوا العزم من الرسل وبشر الصابرين الذي اذا اصابتهم مصيبة قالوا إنـا لله وانا اليه راجعون وان الله مع الصابرين.. كانت آخر اللحظات بـيني وبينـه بـل آخر الكلمات حتى انتهيت بوصيتي له ان يطمئن والدتي ويخبرهـا نيابـة عـني بأنني التمس منها الدعاء لـي مـن المـولى عـزّ وجـلّ بـالتوفيق والاستقامة وان لا تسمح لنفسها ابداً بالبكاء لفراقي ولتصبر ولتتصبرّ مهما طالت الأيام.. أما انـت يا والدي فارفع رأسك مفتخراً بي أمام الآخرين لأننا مع الحق أينمـا كـان واسـع لأن تبني من إخوتي جيلاً اسلامياً حقيقياً لأننا بحاجة الى رجال اكفـاء وسـواعد قادرة لنشر العدالة الإلهية (عدالة الله) ولنكن بحق خلفاء لله في الارض.. ما هي الا لحظات واذا بإمرأة تشدني من الخلف بقوة وعنف ونظرات والـدي تلاحقـني الى ان غاب عني حيث اقتاده الجنود المسلحين الى الخارج ملوحاً لي بيده في أمان الله يا ابنتي.... في امام الله يا ابنتي... في دعة الله يا...

(٥)

بين أيادي الجلادين :

ساقتني تلك المرأة معها بواسطة (الكلبشة) برفقة اثـنين مـن الجنـود اضـافة الى مدير السجن (منصور القحطاني) كان يلتزم الصمت ولم يتحدث بكلمـة واحـدة، كان يسير الى الإمام ونحن الى الخلف الى ان وصلنا للركن الايسر من الساحة ومـا زال المكان يلفه الظلام والسكون الى درجة انعـدام الرؤيـة تمامـا، والجـو مـشبع بالرطوبة، بينما أخذ الليل يرحل شيئا فشيئا بعد ان تدلت خيوط الفجر،

كان منصور القحطاني يحمل ولاعة صغيرة أخذ يضئ بها الطريق، اتجه بنا نحو بناية متوسطة الحجم ليس بها أي منفذ يطل على الخارج عدا بوابة عريضة صلبة تتكون من قضبان حديدية متلاصقة وجدار سميك من المعدن مغطى بجدار آخر من الصفيح يصعب فتحه، مكثنا قرابة خمس دقائف ننتظر، فتح الباب من قبل اثنين من الجنود احدهما يدعى (عمر) وهو متوسط الطول اسمر اللون ممتلئ الجسم له ذقن صغير كلامه شبيه بصراخ النساء، اذا تلكم ضحك عليه الآخرون.

دخلنا سوية يتقدمنا مدير السجن... اصابتني رعشة شديدة ما كل هذا؟ كدت اختنق في تلك اللحظة من الغبار الكثيف الذي كان يغطي الارض ويتساقط فوق رؤوسنا من الأسقف، الجدران تمتلئ بالهواء الذي نهم باستنشاقه، وحتى ساعات الكهرباء لم اكن لأعرفها جيدا، كل هذا لاحظته، الظلام يغطي كل شيء وكأنه قبو قديم جدا، مد المدير يده ليهم بإشعال أحد الانوار المعتمة، واذا به يمزق الظلمة، المنظر، فقد كانت، الساعات منسوجة مع بعضها بواسطة خيوط العنكبوت وذرات الغبار متراكمة عليها..

...أضيئ نور خافت جدا واذا بممر ضيق طويل يبلغ طوله قرابة ستة امتار ونصف، وبعد ان تقدمنا للأمام بمسافة مترين واذا بممر آخر يقع على الجانب الايمن يبلغ طوله حوالي ثلاثة امتار، وكانت الحشرات تتطاير بين هذا الممر وذاك، والصراصير تزرع الأرض جيئة وذهاباً، الصراصير بكثرة اضافة الى وجود قاعدة سكنية خاصة بالنمل الكبير الذي أخذ يتكوم في كل ناحية، فكلما تقدمنا الى الإمام كلما ازداد كل واحد منا في السعال، وصلنا نهاية الممر واذا

بقضبان من الحديد قد احكمت على هيئة باب محكم اغلاقه وبعد محاولة المدير لفتحه، امسكتني تلك المرأة التي كانت معنا منذ الدخول، امرتني برفع يدي الى الأعلى، سألتها لماذا. زجرتني بنظرات حادة (اسكتي.. ايش اتريدي اتقولي) بلهجتها الصحراوية، لهجة قاسية عنقية، لزمت الصمت، أخذت بتفتيش ملابسي فلم تر شيء، انتقلت الى شعري وأخذت تضغط بيدها فوق جسدي لربما اخفي شيئا ولكنها باءت بالفشل ولم تحصل على شيء، أمرتني بنزع حذائي وأخذت تبحث داخله، لكنها وجدته فارغا، قامت بنزع الجوارب من رجلي وبحثت داخلها، ايضا لم تجد شيئا، أخذت تنظر الي نظرات مليئة بالشك والحقد وهي تقول :

(متأكدة ما بتحملي شيء) أجبتها بكل تأكيد، ثم فتحت الكلبشة من يدي وبلمحة خاطفة أطلت على عقارب الساعة واذا بها تشير إلى الخامسة صباحا، فانتزعت الساعة من يدي ومدت يدها الى رأسي فانتزعت جميع المسّاكات الموجودة فيه، واذا بها تدفعني بقوة باتجاه باب حديدي نحو غرفة قد لفها الظلام، مخيفة جدا واغلقت البوابة وذهبت مع مدير السجن والجنود المرافقين، انتابني الخوف الشديد ليس من السجن والجنود المرافقين، انتابني الخوف الشديد ليس من السجن وانما من هذه الغرفة الموحشة حيث كانت عالية الجدران تحوي شقوق عريضة بجوانبها كأنها وهمية الشكل من شدة الغبار والحشرات المتعلقة بها، وكانت أرضها شديدة الانحدار وزواياها منفصلة عن بعضها البعض وكان بين الشقوق قطرات متخمرة من المياه ومتحولة للون الاخضر وبعضها للون الاسود تبث رائحة كريهة في الغرفة، كانت أسراب

النمل والحشرات الصغيرة تمثل جمعات جماعات مترسبة وكانت الغرفة فارغة من أي حصير أرضي حيث بدت ساحتها تمثل محطة اتـصال لإلتقـاء الحـشرات فيما بينها وخط اتصال طويل لحلقات النمل المتراصة والتي تمتد من خارج المـر الى داخل الشقوق.

هممت بالجلوس فـوق عبـاءتي بعـد ان افترشـتها كحـصير أخـذت أفكـر طـويلا محتارة في امري ماذا أفعل.. ولكن رغم كـل ذلـك فـأني لا اسـتطيع جمـع شـتات فكري ولو بفكرة واحدة، كان رأسي يكاد يتفجـر مـن شـدة الالم وكانـت عينـاي تميلان الى الذبول من الاحمرار وشدة النعاس بسبب قلة النوم، كان القلق يأخـذ مني مأخذا عظيما والخوف يراودني بين فترة وأخرى من تلك الغرفـة... ولكـن آه لو تتاح لي فرصة كي أنام ولو لمدة خمس دقائق..

بعد مضي ما يقارب سـاعتين سمعـت الـضجيج يتعـالى في الخـارج وكأنــه صـوت المدير يتقدم ولكن الخطوات توحي بأنهم اكثر من شخص واذا بصدى عال تـثيره حركة المفاتيح واذا بالأبواب تفتح وبالمدير قد أقبل ومعه تلك المـرأة وأربعـة مـن الجنود، فتحوا باب الغرفة نهضت فزعة ماذا يريدون هذه المرة.. لعلـي سـأعود إلى المنزل وكل ما حصل مجرد خطأ، فليس من المعقول ان تعتقـل الـسلطة امـرأة وبطريقة بـشعة لربمـا هنـاك خطـأ، لم يـصب تفكـيري في هـذه اللحظـة، فلقـد امسكت بي المرأة واخرجتني من الزنزانة متجهــة بـي عـبر المـر، واذا بـصوت امرأة يصدر من الداخل حاولت أن اديـر وجهـي الى الخلـف لمعرفـة مـن هنـاك، رفضت وبشدة صارخة في وجهي ممنوع، بعد ذلك علمت بأن هناك امرأة اخـرى في احدى الزنزانات، حيث كان السجن عبارة عن بناية متوسطة الحجـم (يطلـق

عليه عنبر النساء او السجن الخاص بالنساء) يتكون من أربع زنزانات وغرفة واسعة اضافة الى مطبخ وقد تحول الى زنزانة هو الآخر، اضافة إلى ثلاثة حمامات في جهة منعزلة مقابل ثلاث مصبات من المياه لمجموعة من الحنفيات ويحتوي على ممرين أحدهما طويل والآخر قصير..

ما زلنا نواصل السير باتجاه زنزانة صغيرة دفعتني فيها تلك المرأة فرغم صغر حجمها الا انها أفضل من الغرفة الأولى، فالارض مستوية تحوي فراشا واحدا، واذا بالمرأة تخرج ويغلق الجنود باب الزنزانة في وجهي بقوة بعد ان قال أحدهم وهو يتثائب وقد بدا عليه النعاس الشديد بنبرة حادة وصوت ويكفي ما سببتيه لنا من ازعاج في هذه الليلة) قال منصور القحطاني (اذ احتجت ان تذهبي الى الحكام او اردت ان تشربي ماء فهذه هي السجانة سوف تكون في هذه الغرفة مشيرا بيده إلى غرفة واسعة تقع في الجانب الأيسر خلف البوابة الخارجية بمجرد نداء سوف تأتي وتفتح لك الباب واحذري ان تصدر منك أية حركة، خرجوا جميعا ولم تبق الا تلك المرأة، كانت طويلة القامة، حنطية اللون، قوية البنية تتميز بوجود علامة سوداء اسفل عينها اليمنة، سريعة اللهجة الصحراوية المبهمة، أخذت تقذفني بنظراتها الساخرة رافعة رأسها بكل اشمئزاز واستهزاء وهي تضحك وكأنني فريسة ثمينة قد وقعت بيدها، لكني لم اعرها أي اهتمام، حمدت الله كثيرا لنقلي الى هذا المكان... بعدها لجأت الى النوم لكني لم استطع، فهاجس القلق وشبح الخوف ما زال يراودني ما العمل اذن؟ لجأت الى الله سبحانه وتعالى بالدعاء وتلاوة بعض الآيات القرآنية التي أحفظها، فهدات نفسي واستقرت سريرتي بعد ان بزغ الفجر

وحان وقت الصلاة وفور الانتهاء من الصلاة احسست بالنعاس فغفوت على أمل انتظار ما سيحدث في الغد.

(٦)

اليوم الأول :

....استيقظت سريعاً صباح ذلك اليوم، فأخذت أمعن النظر في هيئة الغرفة وتشكيلتها، ظننت ان الليل لم ينته بعد وأن النهار قد تأخر، ولكن ليس من المعقول فلقد عفوت ما يقارب ثلاث ساعات بعد اداء فريضة الصلاة، لجأت مسرعة نحو الباب كي أتأكد اكثر حيث لم تكن هناك أية نافذة أستيطع أن اطل منها لمعرفة ما اذا كان الوقت نهاراً أم ما زال ليلاً.. أصبحت ابحث عن ثقب صغير من الثقوب الموجودة، واذا بثقب يوازي خرم الابرة قد نفذ منه نور بسيط، تيقنت أن النهار قد أقبل لأن النور ينبعث من البوابة المجاورة المواجهة لزنزانتي باشراق أشعة الشمس المنعكسة..

كان باب الزنزانة مغلقاً بإحكام بقفل حديدي كبير لونه أسود مع سلسلة حديدية طويلة.. تذكرت آخر الكلمات التي نطقها المدير (اذا احتجت الى شيء فاطلبي السجانة).. ولكن بأي اسم.. فقلت يا امرأة.. هي.. يا سجانة واذا بها قد أقبلت أخذت تتكلم معي بخشونة سألتها لماذا تعاملبني بهذا الشكل وبهذه القسوة، أجابتني (هل نسيت إش سويت البارح،.. تذكرت موقفاً حدث بيني وبينها في ليلة الأمس، حيث بداية دخولي الى السجن وبعد مرور ما يقارب نصف ساعة وأنا في تلك الغرفة المخيفة واذا بها تأتي وترمي بمكنسة كبيرة في

وجهي قائلة (هيا قومي عليش شيء إتسوية بلحال بها المكنسة) امرتني بتنظيف الغرفة إضافة إلى تنظيف جميع حواشي السجن والزنزانات ما عدا الزنزانة المجاورة حذرتني من الاقترب منها لوجود امرأة اخرى هناك. مضيفة الى ذلك إعادة التنظيف مرة أخرى بالماء.. هنا صرخت في وجهها أنا لست شغالة لديكم ومهما عملت فلن ألبيّ لك هذا الأمر.. قالت.. (بتشوفي الويل ان رفضت واتصل بالمدير وأقله) وكذا مرة تعيد جملتها كي يتسنى لي فهم ما تقول (فأخذت تتصل عبر جهاز اتصال كان معلقاً خلف الباب مقابل ساعات الكهرباء، فكانت وظيفته اذا كانت هناك مخالفات من قبل المعتقلات تنقل فوراً عن طريق السجانة عبر هذا الجهاز، اضافة إلى تبادل الأوامر بين مسؤولي السجن والسجانة) فبعد انتهائها من الاتصال حضر المدير إلى السجن مكفهر الوجه، حاد، النبرات خشن الصوت، يتبختر في مشيته، ويستعلي كالطاووس في غروره وغطرسته، عادة ما يصيبه التوتر وسرعة الغضب، فها هو يصب جام غضبه على اولئك الجنود حتى وان كانوا في سن والده فيعاملهم اسوأ المعاملة ويفرض عليهم اشد العقاب ويوجه لهم اشد الاهانات واقذرها، فهاهم يترائون للناظر وسط ساحة السجن الملتهبة بحرارة الشمس أحدهم يزحف على بطنه بدون لباس على ذلك الاسفلت المنصهر وقد اصبح جسمه كالجمر من شدة الحرارة، وآخر قد تستعصي حالته لوقوفه على رجل بدون حراك، وذاك قد منع من شرب الماء طوال أربع وعشرين ساعة في ذلك النهار الحار المشبع بالرطوبة، والكثير الكثير من مساوئ هذه الشخصية، شخصية منصور مرعي القحطاني ومن لا يعرفها، حتى الاطفال الصغار يتمثل لهم شبح ورعب مخيف

أثناء رؤيتهم له، فها هم لا يسلمون من زجره وسخريته لهم أثناء زيارتهم لآبائهم داخل السجن، وتراه في أكثر الاحيان قد أسدل يداه خلفه وهو يلوح بالخيزران يمنة ويسرى ضارباً هذا ومبعثراً ذاك وكأنه سعى لاستعباد آخرين في تلبية اوامره بالضرب والشتم والتهديد ونادراً ما يتكلم بأدب واحترام وعادة ما يطلق كلمات قذرة تليق بمستواه كمدير...

ها هو قد أقبل والفاظه تسبقه بالسب والشتم والزجر سألني لماذا لا تطيعي وتنفذي أوامر السجانة.. أجبته.. لو تأتي لي بأكبر رئيس للمباحث في المنطقة لما نفذت لكم هذه الأوامر.. وهل هذا من حسن الضيافة هل تكرمون الضيف في اول زيارة هكذا؟ هنا ازداد غضبه وأخذ يهدد ويتوعد وهو يعدو من الباب خارجاً (نحن نعرف كيف نجعلك مستعدة لتنفيذ الأوامر) صفق الباب خلفه وخرج. ومرت تلك الليلة بخير. ما يقارب الساعة التاسعة صباحاً اذا بالأبواب تطرق من جديد وإذا باثنين من الجنود وامرأة أخرى معهم أتت كي تستبدل الدوام مع السجانة الموجودة وعبر حوار بينهما علمت بوجود سبع سجانّات أخريات يتناوبن الدوام الرسمي خلال أربع وعشرين ساعة يومياً.. بعدها ولّت السجانة (نورا) تاركة وصيتها لرفيقتها عليك بهذه وكانت تشير لي، انتبهي لها جيداً، وخرجت على أن تعود في الأسبوع القادم

(٧)

بداية التحقيق:

في تمام الساعة السابعة صباحاً من اليوم التالي أحسست بخطوات منتظمة تتقدم باتجاهي ثم بدأت الخطوات بالإسراع، استرقت السمع أدنيت أذني من الباب سمعت أحدهم يقول هل أحضرت (الكلبشة) والآخر يرد عليه بالإيجاب، كانوا ثلاثة من الجنود وكان برتبة عريف ويدعى (عامر) وهو شخصية متكبرة، عالي الصوت وهذه ميزة يعرف بها لدى الجميع فيستطيع الإنسان معرفته وان كان على بعد خمسين متراً او اكثر، مخيف الجسم وله ذقن صغير، رجل خاوي ويحب الإزعاج، فتح الباب بعد ان هزه هزة عنيفة وتقدموا باتجاه زنزانتي وضعوا الكلبشة في يدي وأخرجوني معهم، أثنين من الجنود أحدهم يمشي إلى الأمام والآخر يمشي إلى الخلف إضافة إلى العريف، أما السجانة فقد لزمت يداي بقوة بجانبي حتى لا أتمكن من الأفلات من قبضتها وهي قصيرة القامة، نحيفة الجسم، ترتدي برقعاً اسود اللون واسمها (ظبية) تنتمي إلى قبيلة بني قحطان ويتميز كلامها باللهجة البدوية الحادة.. ما زلنا نواصل السير إلى أن تجاوزنا البناية الخاصة بسجن النساء، مررنا بساحة واسعة جداً كانت مسورة بجدران صلبة حيث يتكون سقفها من أشباك حديدية متراصة في صورة مربعات طولها في عرضها عبارة عن سنتميترات معدودة، خرجنا من الساحة مروراً بممر صغير، باجتيازه دخلنا ساحة كبيرة أخرى كانت تضم مكتب مدير السجن، إضافة إلى أربعة من العنابر التي يتواجد فيها اكثر المعتقلين.. ومن الاتجاه الايمن خلف العنابر وصلنا إلى ساحة اخرى عبر بوابة صغيرة وهذه الساحة تحوي غرف الموظفين، إضافة الى وجود مكاتب المحققين على الجانب الأيسر، تقابل هذه المكاتب غرف خاصة للتعذيب وزج المعتقلين داخلها...

أدخلوني غرفة مجاورة لمكتب التحقيق، وما زال الجنود والسجانة برفقتي، أقبل رجل يرتدي اللباس المدني وأفصح قائلاً انتظروا في هذه الغرفة لحين انتهاء النقيب فهو مشغول الآن... تم انتظارنا ما يقارب خمسة عشر دقيقة بعدها خرجنا سوية تجاه الغرفة الثانية حيث مكتب التحقيق.. بعد طرق الباب واذا بصوت من الداخل يأمرنا بالدخول.. تقدمنا الجندي ونحن الى الخلف واذا بطاولة فخمة تتوسط الغرفة ومكتبة كبيرة خشبية من الجانب الايمن ترتكز في زاوية الغرفة، كانت خاوية لا تحوي إلاّ مجموعة بسيطة من الملفات وبعض المستندات، وخلف الباب وضع جهاز تلفزيون صغير وجهاز فيديو وبعض من اشرطة الفيديو حجم صغير، بالإضافة إلى مقعدين من النوع الفخم كسيتا بالجلد السميك بنية اللون، وكانت في الجانب الأيسر، أما الجانب الأيمن فتوجد بعض الكراسي الخشبية المتناثرة في غير انتظام... وكان على الطاولة تلفونان أحدهما لاستقبال المكالمات الداخلية على نطاق السجن والآخر للمكالمات الخارجية.. ويلتصق بالطاولة مقعد دوار من النوع الفخم، كان المحق جالساً عليه يقابلنا بظهره وبالجانب الخلفي من المقعد، بادرت بالاسلام وبعد هنيئة من الوقت استدار بوجهه ورد السلام، أمر السجانة بفتح الكلبشة من يدي وأمرني بالجلوس على أحد المقاعد المقابلة للمكتب من الجانب الأيمن وجلست السجانة مقابلة لوجهي، والجندي ما زال واقفاً لدى الباب ينتظر الأوامر، أمره بالخروج فرفع يده محاذية لرأسه وضرب برجله الارض أداءً للتحية المعروفة (ضرب سلام) فولّى خارجاً بعد ان اغلق الباب خلفه، حيث كان الباب المنيوم يكتسي اللون الأبيض ـ كان الجو يعمه الهدوء والصمت يخيم على

الجميع اما أنا فقد إزدحم عقلي من كثرة طرح التساؤلات ولكني تركتها صامتة أترقب مسير الوضع، فأخذ يفتح بعض الادراج وسط الطاولة ويغلقها وكأنه يبحث عن شيء واذا به قد اخرج ملفاً وأخذ يكتب فيه، ثم اتصل هاتفياً وكان يصدر لمن يكلمه بعض الأوامر مثل هل كل شيء حسب الاصول، كما امرتك أريد كل شيء يكون جاهزاً وانا سوف اكون مستعداً، اغلق سماعة الهاتف بعدها..

ونحن ما زلنا على هامش الانتظار.. بعدها ضغط أحد الاجراس الموجودة من الجانب الأيسر خلف المكتب واذا بجندي قد أقبل وأدى نفس التحية فطلب منه احضار (دلة القهوة( وبعد خروج الجندي سألني عن اسمي فأجبته فأخذ يسألني عن حالي وصحتي وبكل استهزاء وسخرية قالها "عساك مرتاحة هنا!! لقد نورتي المكان، من زمان ونحن ننتظر قدومك، حصل لنا الشرف بزيارتك اليوم.. هذه الفرصة تمنيناها وها هي اليوم تتحقق فأرجوا ان لا نكون قد سببنا لك أي ازعاج المهم ان تكوني مرتاحة في الغرفة الجديدة، أخذ يهز رأسه رافعاً حاجبيه الى الأعلى شامخاً بأنفه.. هـه.. لا بد ان تكوني مرتاحة فهي غرفة على الكيف (يقصد الزنزانة) أجبته حمداً لله على كل حال.. توجه لفتح أحد الادراج في مكتبه واخرج ملفاً أصفر اللون فتح الصفحة الأولى وضرب به بقوة في وجهين فوق المكتب ورمى امامي بقلم ازرق طويل كان مخططاً باللون الأسود والاصفر وأمرني بالكتابة، أخذ يردد اسمي لعدة مرات ثم اخذ يخط الاسئلة وسط الملف وقبل ان يسلمني إياها للاجابة عليها لا بد من الاجابة عليها شفهياً ـ فمرة أخرى سألني عن اسمي.

ما اسمك؟ ـ عالية مكي.

**كم عدد افراد عائلتك؟**

**احد عشر(١١).**

**من الكبير في الأسرة؟ ـ افراد الأسرة كلهم صغار ما عدى انا الكبيرة.**

**انت الكبيرة اذن!؟ ـ نعم.**

**كم عدد اقربائك؟ عدديهم فرداً فرداً وبالخصوص اعمامك اذكري أسمائهم بالكامل؟ بعد ان عدّدت مجموعة من اقاربي اجبته ليس لدى اعمام**

**ألديك أخوال من هم؟ اذكري اسمائهم بالكامل؟ ـ ليس لدي اخوال.**

**وكان الملف يتردد بين ايدينا هو يأخذه لكتابة السؤال بقلم اسود عريض وانا بدوري استرد الملف للإجابة على اسئلته بالازرق حيث أمرني بالتوقيع فور الانتهاء من الاجابة على كل سؤال، أخذ الملف وكأنه يكتب شيئاً، وبعد ان سلمني الملف للتوقيع فقط بدون إجابة على أية سؤال، اتضح بأنني أمضيت لإغلاق المحضر حيث كتب أنه في تمام الساعة كذا... تم أغلاق المحضر.... مع حضور السجانة فلانة....... التوقيع......**

**واذا به يضغط زراً على اثره حضر إثنان من الجنود ومعهم الكلبشة ثم وضعها في يدي وأعادوني الى الزنزانة مرة أخرى. كان ذلك في يوم الأربعاء والذي يصادف آخر يوم عمل حيث يومي الخميس والجمعة من كل أسبوع تعطي الإجازة الرسمية لموظفي الدوائر الحكومية. قضيت هذين اليومين بفارغ الصبر وعلى أحر من الجمر بانتظار جلسة التحقيق المقبلة وبلهفة شديدة لمعرفة السبب في اعتقالي...**

في صبيحة يوم السبت في تمام العاشرة، طرق الباب وفتحت الزنزانة واقتادوني مرة أخرى الى حيث المكتب وفي نفس الوقت اقتادوا زميلتي التي كانت في الزنزانة المجاورة، وضع القيد في يدي وسرنا باتجاه المكتب، أعطي المحقق اشارة بوصولنا فسمح لنا بالدخول واذا به منكفأً على مقعده واضعاً ساعديه فوق المكتب وكفّاه محاذيان لوجهه وكان يتلاعب بالقلم بين اصابعه، وقد وضع ملفاً أصفر امامه اضافة الى ورقة بيضاء صغيرة، لم أنتبه سوى لمجموعة من النقاط والارقام الموجودة فيها، واذا به يلقي بابتسامة عريضة وقبل ان يسمح لنا بالجلوس رحب بنا قائلاً باستهزاء أهلاً وسهلاً! ! لماذا واقفين تفضلا بالجلوس، جلست بجانب السجانة لفترة معينة على اثرها رنّ جرس الهاتف، رفع السماعة للرد عليها وفوراً اغلقها بدون ان يتكلم وكأنه ينتظر إشارة معينة، نظر الى الورقة الصغيرة التي امامه وأبدى ابتسامه استهزاء وأخذ يكرر وهو يهز رأسه (اهلاً وسهلاً) نظر لي بعدها وقال اهلاً وسهلاً.. بالشيخة، كيف الحال يا شيخة ام وائل يا طالبة العلوم الدينية، فوجئت معرفته لكنيتي، وتملكني الذعر من هول المفاجأة واحسست بالدم يسري في عروقي بسرعة، بدأت علامة الارتباط تهزني.. كادت أحاسيس ان تخونني حاولت ان استعيد ثقتي.. بالله سبحانه وتعالى هدأت نفسي بعد قليل.

هامت يده اللئيمة لتضغط على زر صغير على اثره حضر أحد الجنود، إنتهزت فرصة كلامه وإصدار اوامره للجندي فنقلت الى حيث أمرني بالجلوس طلب من الجندي إحضار الشاي والقهوة وفور خروجه أخذ المحقق يسترسل في ترتيب

كوفيته واذا به يرمي بقلم في وجهي قدم الملف وفتح المحضر وبدأ بالسؤال.. يا طالبة العلوم.. ما هي المدن التي قمت بزيارتها داخل المملكة وفي أي تاريخ؟

ـ زرت مكة والمدينة للعمرة ولا اتذكر التاريخ. ألم تذهبي الى مكان آخر فقط للعمرة؟..

نعم. ما هي البلدان او الدول التي قمت بزيارتها خارج المملكة وفي أي تاريخ؟ ـ لم ازر مكان خارج المملكة ما عدا مصر فقط ولا اتذكر التاريخ فقد كان قبل ثلاث سنوات تقريباً.

هل انت متأكدة فقط الى مصر؟ ـ نعم.

يا ام مهتدي يا طالبة العلوم ـ متى ذهبت الى الدراسة الدينية في الخارج ومن الذي شجعك على ذلك؟ ـ يا ألهي لا مفر ولا هروب فاسمي موجود لديهم ولديهم علم كذلك بمسألة ذهابي الى الدراسة فلا داعي للنكران...

ثم ذهابي قبل سنتين تقريباً ولا أحد شجعني على ذلك.

بأي وسيلة سافرت الى الدراسة؟ ومن الذي كان معك؟ ـ سافرت بالسيارة وكنت برفقة جدّتي.

هل أنت متأكدة مما تقولين؟ ـ كل التأكيد كما اني متأكدة من وجودك هنا. ارجو ان لا تكذبي فكل شيء مصرح لدينا وكل المعلومات التي تخصك موجودة وافهمى جيداً انه لا داعي للكذب، فالكذب حبله قصير فاعترفي بالحقيقة قبل ان تندمي؟ ـ ما اقوله لكم هو الحقيقة وليس عندي زيادة.

أنا اعلم انك كذابة فقولي الصدق وخليك صريحة مع التحقيق. ـ أنا لا اكذب وكل ما اقوله هو الصدق.

هنا طرق الجندي الباب قادماً بالشاي والقهوة، بعد ان سكب فنجانه من الشاي قال المحقق هل تشربين شيئاً أجبته بالنفي، خرج الجندي بعدها وأخذ يواصل اسئلته..

من كان برفقتك في السيارة وانت تغادرين البلاد؟

لا يوجد أي شخص معي اثناء مغادرتي للبلاد ولم اكن برفقة احد.

هكذا واخذ يكرر نفس الاسئلة ولكن باسلوب آخر، اراد ايقاعي في المصيدة.. ولكن هيهات له ذلك. كانت الاجابات لا تتغير. بعدها صرخ في وجهي كذابة، انا لست مقتنعاً باي اجابة من اجاباتك فكلها كذب واقول لك واردّد الكذب حبله قصير فيا ويلك ان كتبت غير الصدق، فمن الافضل ان تتجاوبي معنا.. رغم معرفتي بأنك كذابة مئة في المئة والا لماذا توقفت اكيداً تفكري في كذبة جديدة..

قلت لك انا لا اكذب فالكذب ليس من عادتنا.

قال: خليك انسانة محترمة وتجاوبي مع كل سؤال والا سوف تعضّين اصابعك ندماً، ثم اخذ يتمتم ببعض الكلمات.. فتارة اسمع له وتارة افكر.. هل استمر معه ام لا. احترت في امري ولم اكن أفكر إلاّ في الله (إلهي عظم البلاء وبرح الخفاء وانكشف الغطاء وانقطع الرجاء وضاقت الارض ومنعت السماء فإليك المشتكى وانت المستعان وعليك المعول في الشدة والرخاء اسألك بحق محمد وأهل بيته ان تفرج همي وتكشف كربي وغمي وترحمني برحمتك يا ارحم الراحمين..) رددت هذه الكلمات الرائعة فاندفعت همة وعزماً لمواصلة التحقيق وبدأت بالإجابة واردّد له أنا لا أكذب، أخذ يكرر كذابة وانا متأكد ولا كلمة

واحدة دخلت في رأسي من الكلمات التي ذكرتها فقولي الصدق، أخذ يعلو صوته بالصراخ لا تكذبي أتفهمي أخذ ينظر الي بنظرات حادة وهو يشمر عن ساعديه ـ دفع مقعدة بقوة وقف شامخاً بمنكبية وضرب ضربة قوية بيده فوق الطاولة حيث ارعبتني تلك الضربة، ولمدة دقيقتين وهو ينظر لي بنظراته الحادة والشر يتطاير منها.. الم اقل لك انك تكذبين ثم أخذ (مهشة ذباب) كانت موجودة فوق المكتب لونها وردي أخذ يضرب بها فوق رأسي وهو يقول (انت كالذبابة اعترفي والا سأقطّعك بالضرب كما اقطّع الذبابة بهذه واذا به يقلب المهشة ويضرب بقاعدتها بكل قواه فوق رأسي وهو يردّد لا تكذبي انت كذابة.. متى ستقولين الصدق، التزمت الصمت واذا بضربه يزداد اكثر فاكثر فشعرت بأن رأسي يكاد يتفجر من شدة الألم، صرخت في وجهه الا تخاف الله، الا تستحي من الله تمد يدك على امرأة وتضربها لقد قلت لكم ما عندي وحسب، فاسألوني أجاوبكم ماذا تريدون غير ذلك؟ هدا قليلاً وتوقف عن الضرب ونظر الي نظرة استحقار وفاجأني بضربة عنيفة فوق رأسي صارخاً نريد الصدق وان تقولي الحقيقة هنا نزلت رحمة الله علي اذ رنّ جرس الهاتف، رمى بالمهشة فوق المكتب وأخذ يتحدث بالهاتف.

إنشغلت بالتفكير في هذا الاسلوب الحقير الذي يستخدمه كل محقق مع كل معتقل او سجين للنيل من شخصيته والعمل على تحطيمها بالسب والشتم وعبر اللفاظ القذرة، سواء ذبابة، او حشرة، او جرثومة وما شابه ذلك، فقيمة الانسان امامهم لا تعادل شيء تعادل ذبابة لا تساوي ذرة في الحياة، هكذا يريدون لكل معتقل ان يحولوه الى شخص جبانٍ متقاعس عن العمل والتحرك في

سبيل مبدئه وعقيدته، حيث يجعلونه صفراً على الشمال، فهذا هو مبتغاهم وأدُ المجاهدين وهم أحياء.

ما زال هذا الذئب يتحدث والغضب يسيطر على كل كيانه بعد ان جلس على مقعده وزفر بعمق وختم مكالمته بقوله: لا أحد يكلمني أنا مشغول الآن.. قطع المكالمة واخذ ينظر الي وهو يلهث كالكلب بدأ يهددني قائلاً سأجعلك تأكلين حذاءك لحين تعترفي، صفعني بالملف طالباً مني التوقيع لانهاء المحضر والذهاب الى الزنزانة.

دلفت الى العنبر الخاص بسجن النساء وليتني لم اذهب لأرى ذلك الشبح المخيف والوجه المرعب (سارة وما أدراك ما سارة) نعم هي سارة الخالدي امرأة طويلة القامة، ضخمة الجثة كالفيل شديدة السواد، صوتها رخيم وضخم جداً مصحوباً بالخشونة ملامح وجهها حادة وقاسية، من شدة سوادها لا يرى منها الا بريق عينيها وبياض أسنانها فيما تنهال بالسب والشتم وهي من العبيد حيث تلقب من قبل السجانات بالصاعقة، بصدى كلمة واحدة تخرج منها تكاد تحطم الجدران، وتهز الاسقف وهي تزبد وترعد، توجهت الى زنزانتي وانا ادعوا الله سبحانه وتعالى ان ينهى ذلك اليوم حتى يحين موعد انتهاء دوام هذه السجانة فلقد كانت تعاملنا أسوء معاملة، وكانت تستخدم القوة والعنف لإخافتنا ولعلّ هذا جعلنا نستجيب نسبياً لأوامرها، فقد كانت تحاصرنا اثناء ذهابنا الحمام ولا تصرح لنا بدخول الحمام سوى مرة واحدة خلال أربع وعشرين ساعة ويا ويلنا ان طلبنا منها الحمام للمرة الثانية، فإننا لا نسلم من لسانها، كانت تقيدنا في جميع تصرفاتنا سواء في النوم او الجلوس ففي تمام

الساعة الثامنة ليلاً لا بد ان تلجأ الى النوم، وفي تمام الخامسة صباحاً لا بد ان تستيقظ، وحتى الذهاب الى شرب الماء تحدده لنا بوقت، قضيت تلك الليلة وأنا اضرب أخماساً في اسداس لشراسة السجانة من جهة ولحرارة جلسات التحقيق من جهة أخرى، جلست افكر طوال الليل في اسئلتهم الموجهة الي وبماذا سأجيبهم، فكرت بعمق في اساليبهم وكيفية مقاومتها، توجهت الى الله في تلك اللحظات (الهي يا ملجأ الهاربين ويا ملاذ اللائذين اليك لذت وبك اعوذ فاستنقذني من كيد هؤلاء الشياطين كما استنقذت موسى من كيد فرعون وافتح لي أبواب رحمتك وامنن عليّ بلطفك يا أكرم الاكرمين). واذا بي أهرع مسرعة تجاه الباب بعد ان سمعت صوت سارة يهز العنبر (انت تسمعي لو بتستهبلي هيا..) استعدي للذهاب الى التحقيق، ما هي الا لحظات واذا بالمفتاح يدور في قفل الباب حيث أقبل جنديان معهما سجانة، توجهنا سوية الى المكتب ولكن المحقق لم يكن موجوداً وانتظرنا قرابة عشر دقائق حينما قدم المحقق وبيده مجموعة من الملفات وضعها بأدراج مكتبه واخرج الملف الخاص بالتحقيق وبدأ بالاسئلة بعد ان فتح المحضر..

ما هي المدة التي قضيتها خارج المملكة؟ وفي أي وقت تم سفرك للدراسة الدينية؟

ـ المدة التي قضيتها تعادل سنتين ونصف وتم سفري للدراسة الدينية في يوم الجمعة في تمام الساعة التاسعة صباحاً.

من الذي رافقك الى الدراسة؟

ـ لم يرافقني احد.

فور وصولك لطلب الدراسة الى أين تم اتجاهك وفي أي مكان تم سكنك؟

فور وصولي اتجهت الى المدرسة وتم مسكني هناك.

...بينما نحن في غمار الحديث واذا بعايض القحطاني قد اقبل، سحب الملف من يدي وأخذ يقرأ ما فيه واذا به ينظر الى المحقق ويتفجر من شدة الضحك، قال عايض لا تجعلها تستهبل، تراها بدأت تلعب من أول ما شرفت عندي في المكتب (مكتب القطيف) قالها باستهزاء موصحيح يا طالبة العلوم؟..

لماذا اخترت الدراسة خارج المملكة؟ واذا كانت حجتك الدراسة الدينية فنحن في المملكة لدينا مدارس وندرس علوم دينية فلماذا اخترتها خارج المملكة؟ - تم اختياري للدراسة الدينية خارج المملكة لعدة أمور منها.. ١ - دراسة العلوم الدينية الاصيلة والبحث عن الثقافة الإسلامية العريقة. ٢ - الغرض من سفري لدراسة المذهب الجعفري. قال بكل اعتزاز نحن في مدارسنا ندرس المذهب الجعفري وائمتكم هي نفس ائمتنا ولا تنسي أنك بقولك هذا تفرقين بين الشيعة والسنة؟

انا لا افرق وانما أوضح لك السبب في ذهابي لطلب الدراسة الدينية واذا به قد ثارت اعصابه وهو يردّد ائمتكم هي ائمتنا ومن ثم أخذ يضرب الطاولة بيديه وهو يردّد نحن لا نفرق لا فرق في ذلك لا فرق في ذلك اتفهمي؟؟؟

اجبته بقولي اذا كنت صادقا فيما تقول فاذكر لي اسماء الائمة واحداً تلو الآخر مع ذكر تاريخ ولادة كل واحد وتاريخ وفاته.. ما هي الا لحظات حتى ثارت ثائرته بشدة.. صرخ وهو يحملق في وجهي يا قليلة الادب هذا ليس حديثنا فقد خرجنا من الموضوع..

بعدها تنفس الصعداء وهدأ من روعه وأخذ يواصل.

لماذا اخترت هذه المدرسة الدينية رغم ان هناك مدارس كثيرة فما الهدف من ذهابك لهذه المدرسة بالذات؟ ـ تم ذهابي لهذه المدرسة لأنها تضم جميع العلوم الدينية والعلوم الحياتية وكل ما هو في صالح الإنسان سواء في الدنيا والآخرة.

ما هي الجنسيات الموجودة معك في المدرسة؟

ـ يوجد معنا من لبنان، والعراق، والسعودية ـ

من هم السعوديات الموجودات معك؟ اذكري اسمائهن، مناطقهن مكان تواجدهن حالياً؟

ـ انا فقط سعودية الجنسية، اسمي عالية، منطقتي صفوى مكان تواجدي حالياً السجن.

صرخ في وجهي أتستهزئين بنا..

أنا لا استهزئ.

بل تسخري بالحكومة.

لا اسخر من أحد وانما أجيبك على سؤالك.

قال: الظاهر بتستعبطي وهو يهز رأسه.. وواصل التحقيق.

من هم الأفراد الذين تم تعرّفك عليهم؟ اذكري اسمائهم؟

ـ لم أتعرف بأحد.

كذابة..

انا لا اكذب.. فهميّ كان الدراسة والمذاكرة وليس لدي وقت للتعارف سحب القلم من يدي واخذ يحملق بي قائلاً.. مهما ذكرت وقلت انا لن اصدق، وهذه كتاباتك انا متأكد منها كل التأكيد كلها كذب في كذب توجّه يضرب الطاولة

بشدة وكأنه يريد ايذائي... بدوري دعوت الله سبحانه وتعالى ان لا أتعرض لسوء، كنت جالسة وكانت اعصابي غير مستقرة

لم تكن في مكانها ولكني تظاهرت بالهدوء، إشتد عضبه اكثر، كانت عيناي تحملقان بكأس الشاي الموجود فوق الطاولة والبخار يتصاعد من فوهته، توقعت أن يصفعني به، واذا بالضرب أخذ ينهال فوق رأسي بقوة بواسطة مسطرة سميكة من الزجاج الابيض أخذ يضربني فوق رأسي وانا التزم الصمت. قتله صمتي فازداد ضربه لي بحافة المسطرة وبكل قواه العضلية وهو يردّد يا قليلة الأدب يا كذابة، يا رافضة، يا عنيدة، استمر في الضرب لمدة نصف ساعة تقريباً وهو يقول لا تنكري، قولي الصدق بينما هو يضربني تذكرت مقولة للعلامة المجاهد السيد هادي المدرسي ـ حفظه الله ـ (المرأة بطبيعتها عنيدة وليكن على المرأة ممارسة عنادها اكثر من الطاغوت) واذا بي قد انقلبت الاشياء أمامي، الطاولة، المقاعد، الأرض كل شيء اصبح بالعكس، إسودت الدنيا في عيني، فقدت القدرة على التركيز لكني ما زلت اتقيد بالصمت.. كان الشيطان وقتها يراودني بين فترة وأخرى للاعتراف! إعترفي ولا داعي لكل ذلك، فليس بعيداً ان يصفعك بكوب الشاي ولربما ينزع حجابك... لا ترين ثورته وهمجيته، الا ترين غضبه؟ اعترفي، قولي ما لديك ـ تساءلت بداخلي هل أقدم على الاعتراف ام لا، فقد يؤذيني اكثر، واذا بصرخات قوية قادمة باتجاهها الينا من الغرفة المقابلة، كانت لأحد الشباب وكأنه قد انهار من شدة التعذيب استنكرت الأمر في البداية وظننت ان هذه الصرخات مفتعلة لتخويفي ولكن بلمحة سريعة كالبرق الخاطف ركزت بصري الى الخلف حينما دخل احد المدنيين ليقدم بعض

الاوراق الى المحقق فقد ترك الباب مفتوحاً خلفه واذا بي ألمح شاباً يتوسط اثـنين من الجنود وهو يئن ويستغيث ولكن من المجيب؟؟؟ افزعني شـكله كـان وجهـه محمراً والدماء تشخب من رأسه وقد عملت على تغيير ملامح وجهـه، وتحـول ثوبه الابيض إلى أحمر وكأنه مرقع، وكانت رجـلاه شـديدتا الاحمـرار كـالجمر الملتهب، وكان الجنود يجرونه على الارض بقوة وسياطهم والـسنتهم تكيـل لـه السب والشتم، إنتبه المحقق، وبنبرةً زجر أمر السجانة بغلق الباب.

أحزنني منظر ذلك الشاب، هممت بالتفكير في مصيره هنيئة لربما التحق أنا به ويكون مصيري مثلـه وألاقـي مـا لاقـاه، انهالـت مـني الـدموع كقطـرات النـدى المتلاحقة وانا أسبح في رحاب الخالق (الهي انت معي وتعلم بكل شيء يا مـن لا يسبق علمه شيء عبدك بين يديك يسألك ويدعوك يا مجيب دعوة المـضطرين فـلا تخيب رجائي" كانت لحظة تذلل وخشوع ورجاء، قرأت بعدها فاتحـة الكتـاب على اثرها استقرت نفسي وهـدأت سـريرتي، فزعـت بعـدها علـى اثـر الـصوت الصادر من اغلاق الباب بعد خروج ذلك الرجل.

قال المحقق والآن ستعترفي ام لا.. ام تريدين وجبة دسمة احلى من الوجبة التي نلتهـا.. أجبته بصوت مبحوح من أثر تساقط الدموع، حيث أخذت الآلآم تعصف برأسي، الا تخاف الله فكل ما عندي ذكرتـه لكم.

قال: انت تكذبين، أنا اعلم انك مخادعة كذابة، منافقة. صدقني قلـت لكـم كـل ما عندي وانا صادقة فيما أقول، بعدها لزمت الصمت..

أكملي لماذا توقفت فلا تحاولي خلق قصص وتأليفات جديدة فأنا اعلم بأنك كذابة واقوالك هذه ليست صـحيحة، واذا بـصوته يعلـو صـارخاً.. لعينـة انـت لعينـة

بعدك تكذبين هذه آخر مرة احذرك فيها وواصل تحقيقه ـ قائلاً. ما هي التبرعات التي قدمتها سواء مالية أو عينية وانت خارج البلاد وكم هو مقدار المبلغ الذي دفعته؟ ـ لم أقدم اية تبرعات وبالتالي ماذا تقصد بعينية؟

عينية.. قال ذهب، ملابس، اجهزة مثلاً وما شابهها؟ ـ لم اسلم شيء سوى مبلغ بسيط من المال قدره خمسمائة ريال(٥٠٠)سعودي.

هذا ليس معقول ومن الذي طلب منك التبرعات ولماذا؟

ـ التي طلبت مني التبرعات هي احدى المسؤولات في المدرسة وهي التي سلمتها المبلغ.

لماذا طلب منك هذه التبرعات؟

ـ طلب مني ذلك لشراء بعض الحاجيات كسجادات صلاة ومصاحف لأحد المساجد.

هنا زجرني بقوة ما هذا الخط؟ زي الزفت حسني خطك والا...

(حيث منذ بداية دخولي السجن وانا اتعمد الكتابة باليد اليسرى؟

من الذي اوصلك من الخارج الى البلاد؟ وعبر أية وسيلة؟

ـ وصلت الى البلاد عن طريق أحد الحملداريين واسمه (ابو علي). وكان ذلك بالسيارة عبر الطريق البري. صرخ في وجهي، احترمي نفسك ولآخرة مرة.. ها.. لا تفكري بأننا اغبياء فنحن فاهمينك وفاهمين اسلوبك يا قليلة الادب، صفعني بالملف. أجيبي على السؤال بصدق؟..

ما هي البلدان التي مررت بها اثناء نزولك البلاد؟ اذكري المراكز الحدودية التي مررت بها في الطريق؟ ـ ماذا تقصد هنا؟ لم افهم السؤال؟

السوال واضح ولا يحتاج إعادة. ـ ايضا لا يحتاج ان اجيب عليه لأنني لم أفهمه. أخذ ينظر الي ينظرات حادة وانا اضحك (خلف الغطاء) فاضطر الى اعادة السؤال وقال البلدان التي مررت بها يعني مثل الكويت، الخفجي، دولة أخرى هكذا؟

ـ لم نمر بأية دولة، فورا تم اتجاهنا للبلاد وقد مررنا بمركز واحد وهو (الحديثة).

قال: رايح اطابق اقوالك بالمعلومات التي لدينا وياويلك ان اصبحت كذابة.. قالها بكل عنجهية وبلاهة (رايح اتذوقي المر داخل الزنزانة وبتعرفي من هو أنا). ايصير خير.. اقفل المحضر، وأمرني بالامضاء عليه ومن ثم عدت إلى الزنزانة.

(٨)

داخل الزنزانه :

للزنزانة دروس شتى، وعبر لا تعد ولا تحصى، فالسجن الانفرادي يعد فرصة من الفرص العظيمة وفي نفس الوقت فرصة نادرة حيث يكون انفراد الإنسان بخالقه، وموقع لخلوة الحبيب مع حبيبه، ولكي يحس الإنسان في عمق كيانه ووجوده بالضعف المطلق، بالحقارة، بالمسكنة مقابل تلك القوة الجبارة الهائلة، قدرة الله العظيمة والمبدعة، لحظات قد تعجز المشاعر عن التعبير عنها، وقد يتوقف كل قلم وتجف كل نقطة حبر وان عادلت مياه البحار والمحيطات...

لحظات السمو ما أروعها، سمو الروح بعد ان تخلع رداء الرذيلة كي تسمو من جديد، وتتكهرب بالطهارة والصفاء، والنقاء والاخلاص.. يا الهي كم هي

سويعات لذيذة يذوب فيها الإنسان في رحاب خالقه ذوبان تـدريجي كما يـذوب الجليد تحت اشعة الشمس لحظات تعبئة بالطاقـة الروحيـة والوقـد الايمـاني، والانتهال من رحيق العظيمة الألهية، نحو مزيد من الدفع والمقاومة ومزيـد مـن التحدي والصمود، لتكملة المشوار وسط تلك الغرفـة الـصغيرة، وامـام الجـلاوزة الاغبياء، حفنة من عبيد النظام المتسلط..

في الزنزانة، حيث لا يوجد قلم او كتاب ولا حتـى مـصحف كـريم ولا أي شـيء لسد الفراغ الطويل سوى الارتباط بخالق السموات والأرض.

...عدت الى زنزانتي وانا محتارة في امري ماذا أفعل امـام تلـك الاهانـات الـتي أخذت تلفحني من كـل جانـب، والـشتائم الـتي لا تتوقـع سـواء مـن المحقـق او السجانة او الجنود... بدءا من مدير الـسجن وانتهـاء بأصـغر جنـدي موجـود، الضرب المبرّح، التهديد، السخرية والاستهزاء.

ثم تتواصـل اليوميـات راويـة مـآس شـديدة للمجاهـدة عاليـة مكي،كنمـوذج لمـا تتعرض له المرأة في السعودية من قهر وإرهاب لا مثيل له.